SEBHA UNIVERSITY JOURNAL OF HUMAN SCIENCES VOL.20 NO. 3 2021
DOI: 10.51984/JOHS.V20I3.1504

جامعة سبها للعلوم الإنسانية مجلة
Sebha University Journal of Human Sciences

Journal homepage: https://sebhau.edu.ly/journal/index.php/johs

مدينة غات الليبية بين الأطماع الفرنسية والسيطرة العثمانية 1860-1900م

أحمد رجب فرج

قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة طبرق، ليبيا

الملخص

يدور هذا البحث حول الأطماع الفرنسية في مدينة غات ومحاولة الدولة العثمانية السيطرة عليها؛ فقد كانت فرنسا ترغب في السيطرة على المدينة فترة طويل من الزمن، وذلك خلال محاولاتها الكثيرة من أجل التواصل مع المشايخ والزعماء المدينة، وعقد الاتفاقيات والمعاهدات معهم، وكذلك كانت الدولة العثمانية تحاول فرض السيطرة على المدينة ، والكثير من المدن في الجنوب الليبي من أجل تأمين الحدود الليبية لاسيما بعد أن استشعرت الخطر من فرنسا عندما احتلت الجزائر، و أصبحت بذلك بالقرب منها؛ ولذلك سعت الدولة العثمانية لفرض السيطرة على مدينة غات ، كما تطرق الباحث الى العوامل الرئيسة التي أدت إلى هذا التنافس من أجل للسيطرة على المدينة و تتطرق الباحث أيضًا إلى دور الرحالة الفرنسيين من أجل فرض تلك السيطرة ولاسيما دور الرحالة هنري دفيرية وكذلك تطرق البحث الى الأوضاع السياسية لمدينة غات بعد أن خضعت للسيطرة العثمانية.

الكلمات المفتاحية:

مدينة غات
الاطماع الفرنسية
السيطرة العثمانية

The Libyan city of Ghat among the French ambitions And Ottoman control 1861-1900

Ahmed Rajab Farag

History Department, Faculty of Arts, University of Tobruk, Libya

ABSTRACT

Ghat, as well as the Ottoman Empire's attempt to control it. France wanted to control the city for a long period of time, during its many attempts to communicate with the sheikhs and leaders in the city, and to conclude agreements and treaties with them as well as the Ottoman state. It is trying to impose control over the city and many cities in the Libyan south in order to secure the Libyan borders, especially after it sensed the danger from France when it occupied Algeria and thus became near it. Therefore, the Ottoman Empire sought to impose control over the city of Ghat, as the researcher touched upon the main factors that led To this competition for control of the city, the researcher also deals with the role of the French travelers in order to impose that control, especially the role of the traveler Henri Dvira. The research also deals with the political situation of the city of Ghat after it was subject to Ottoman control.

Keywords:

Ghat city
French ambitions
Ottoman control

المقدمة

إن الاهتمام والتنافس الأوروبي للسيطرة على الصحراء الكبرى بمركزها التجارية، والاستفادة قدر الإمكان مما كان لها من مقدرات اقتصادية متمثلة بالحركة التجارية العابرة من خلالها، والتي كانت ورسومها، ونفقاتها، وفوائضها عماد اقتصاديات الدول الواقعة على جانبيها، ولاسيما طرابلس الغرب التي كانت بحق هبة هذه التجارة، وفي هذه تحولت مدينة غات وحتى ساكنها إلى أدوات في اللعبة السياسية الكبرى، والتنافس الدولي للسيطرة على الصحراء من خلال موقع هذه المدينة المهم في الصحراء الكبرى أو دور سكانها في هذه التجارة.

كانت غات مركزاً حساساً في طريق تجارة السودان حيث يتصل ممر السودان بممر مرزق وعين صالح بمدينة غات؛ ولذلك كانت من أهم المراكز التجارية يزيد من رخاء سكانها، ويرتبط النشاط التجاري فيها بقوة الأمن كما يعيش في داخل المدينة أو بجوارها عدد من القبائل الرُحَّل كالطوارق، وقد كان هدف

*Corresponding author:
E-mail addresses: starmax5812@gmail.com
Article History : Received 27 August 2020 - Received in revised form 09 November 2020 - Accepted 20 December 2020

الفرنسيين هو السيطرة على الصحراء سياسياً واقتصادياً، وأن يتعاملوا مع الطوارق تعاملاً ودياً أو يستولوا عليها بالقوة؛ فمنذ تأسيس الإدارة العثمانية في ليبيا عام 1858م كانت الدولة العثمانية تسعى لتوطيد الأمن في ليبيا، ولعل اهتمامها بغات كان عاملًا اقتصاديًا وسياسيًا.

وعلى الجانب الآخر قد بدأت فرنسا اهتمامها بالصحراء الكبرى منذ عام 1818م – 1820 عندما قام ((فريدريك كليوبر)) برحلته إلى الصحراء الإفريقية وقد ازداد حماس الفرنسيين إلى الصحراء الكبرى منذ احتلال الجزائر يوليو 1830م.

إن دراسة مدينة غات وتاريخها السياسي يعد دراسة لجزء مهم من تاريخ الصحراء الكبرى؛ حيث أن تاريخها لم يحظ بما يستحقه الباحثين العرب على الاقل، على الرغم من كثرة الدراسات الموجهة للصحراء الكبرى عامة في مراكز البحوث الأوروبية وتعدد جوانبها؛ فهذا سبب اهتمامي بتاريخ هذه المدينة في المقام الأول .

وقد وجدت هذه الفترة الزمنية التي تمتد من عام 1861م إلى عام 1900م هي الفترة التي ازدادت فيها الأطماع الفرنسية في كثير من المراكز التجارية المهمة في الصحراء الكبرى، ومنها مدينة غات، وقد أنهينا الموضوع بعام 1900م وهو العام الذي اتخذت فيه الدولة العثمانية الكثير من الإجراءات للحفاظ على حقوقها بالدواخل الليبية.

ولذلك يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على هذه المدينة، وعلى ما حدث من صراع بين فرنسا الدولة العثمانية من أجل بسط النفوذ والسيطرة عليها .

ومن هنا نسأل عن موقف سكان غات من هذا الصراع بين الطرفين هل كان سكان غات يرغبون في أن تسيطر فرنسا على هذه المدينة؟. وما موقفهم من الحكم العثماني ؟.

كل هذه الأسئلة السابقة وغيرها سيجيب عنها هذا البحث والذي اعتمدنا في إعداده على عدد من المصادر والكثير من كتب الرحالة الأوروبيين وتقاريرهم التي *دوّنوها* بأنفسهم.

ولا شك في أن هذه التساؤلات تحتاج إلى منهج محدد للإجابة عنها، ونظرًا لطبيعة الموضوع فقد اتبع الباحث المنهج التاريخي التحليلي بما فيه من وصف وتحليل واعتماد على سرد الأحداث بطريقة وصفية، ومن ثم تحليلها .

و سنتناول في هذا البحث: أهم العوامل وراء الاهتمام العثماني بمدينة غات، التودد الفرنسي اتجاه سكان غات ، ضم غات للسلطة العثمانية، دور الرحالة الاجانب ، ثورة غات 1864م .

أولاً- عوامل الاهتمام العثماني بمدينة غات :

كانت غات من أهم المدن في الصحراء الليبية فهي مكان لالتقاء الرحلات عبر الصحراء الكبرى وهي كذلك مركز للقيام بالكثير من الترتيبات، وبالإمكان في غات إبرام الاتفاقيات مع زعماء القبائل لاسيما القاطنة في غات نفسها أو حتى في ضواحيها من أجل توفير الحماية لكل من أراد عبور الصحراء الكبرى إلى أفريقيا، وأصبحت غات المركز الرئيس لكل الصحراء الليبية والتي يستطيعون التفاوض فيها من أجل الكثير من المدن الصحراوية، وكذلك على مستوى العلاقات الدولية، ولكن لماذا هذا الاهتمام من الدولة العثمانية تجاه الصحراء الليبية عامة ومدينة غات خاصة ولا سيما بعد تأسيس الإدارة العثمانية في ليبيا عام 1858م.

في الحقيقة هناك الكثير من العوامل وراء الاهتمام العثماني منها ما يأتي:

- **العامل الاقتصادي والعامل السياسي والعامل الاقتصادي** متمثل في ازدياد القوافل التجارية ولما لغات من أهمية كمركز تجاري مهم بعد أن توفر الأمن في كثير من أرجاء ليبيا في تلك الفترة؛ فقد كانت القوافل التجارية تحمل الكثير من السلع والبضائع السودانية، كذلك كانت القوافل تعبر الصحراء الكبرى مرورًا بها حتى تصل إلى ميناء طرابلس، وبعد ذلك يتم نقلها على متن السفن إلى أوروبا أو العكس، وقد كانت الطرق الصحراوية لها أهمية كبرى للدولة العثمانية لما بها من مصالح كانت تتمثل في الرسوم الجمركية للتصدير والاستيراد[i] .
- **اما العامل السياسي** لاهتمام الدولة العثمانية بالصحراء الكبرى هو الوجود الفرنسي على الحدود مع ليبيا بعد استيلاء فرنسا على الجزائر عام 1830 م، وعلى تونس عام 1881م، وبذلك أصبحت هناك مشكلة لابد من معالجتها بالنسبة للدولة العثمانية، وهي مشكلة الحدود؛ فالكثير من المناطق والمدن الصحراوية لم تكن ذات حدود فقد كانت القبائل البدوية تشكل الحدود، وهذا ما أدّى إلى تغير الحدود بمرور الزمن[ii]، إلا أن بعد الوجود الفرنسي في الجزائر وتونس أصبح من واجبات الدولة العثمانية أن تصون ممتلكاتها من هجمات الدول الاستعمارية و أن تتحمل مسؤوليتها الادارية ولاسيما أن غات ظلت خارج السيطرة العثمانية فترة طويلة [iii] .
- **احتلال الجزائر** يعد الاحتلال الفرنسي للجزائر هو بداية الصراع الفرنسي العثماني حول الصحراء الكبرى الذي استمر فترة طويل من الزمن والاحتلال الفرنسي للجزائر هو بداية لتأسيس الامبراطورية الفرنسية في إفريقيا وقد أثر في العلاقات العثمانية الفرنسية؛ حيث أدرك الفرنسيون أن لتوطيد الأمن

في تلك البلاد المترامية الأطراف يجب التوسع في الحدود الشرقية والغربية والجنوبية، وكان لابد من متابعة تحركات الدولة العثمانية والتي كانت ترفض هذا الاحتلال لدول المغرب العربي لا سيما تونس والجزائر وتتوسع في الصحراء الكبرى فيما بعد كما كانت فرنسا ترى أنه لابد من الاستيلاء على المدن والقرى الصحراوية، وكذلك السيطرة على الطرق التجارية الرئيسة من أجل توطيد أمن الجزائر، و لن يتحقق ذلك إلا بعد الاستيلاء عليها، وذلك يتطلب بذل القوات الهائلة في تلك المناطق، والأموال الطائلة، ولعل أهم الأسباب وراء اهتمام فرنسا بالصحراء الكبرى، والمدن، والواحات الصحراوية هو التحكم في تجارة السودان، والسيطرة عليها كذلك مراقبة الطرق التجارية التي تمر عبر الصحراء الكبرى وترتبط بالكثير من المدن الصحراوية لاسيما مدينة غات موضع التنافس، والحلم الذي كان يراود دائمًا الفرنسيين في السيطرة عليها[iv] .

- **الحركة السنوسية[v] :** لعل هذا العامل هو من أهم العوامل التي أدّت إلى اهتمام الحكومة العثمانية ببسط النفوذ والسيطرة على الكثير من المدن والواحات الصحراوية؛ فقد كانت الدولة العثمانية بالنسبة للسنوسية هي دولة الخلافة، وكان لابد من معاضدتها والوقوف معها؛ لذلك حرصت الدولة العثمانية على تقوية العلاقات مع ابن السنوسي، وتولدت علاقته مع حكام الأقاليم الليبية في كل من طرابلس الغرب، وفزان، وقد كانت تلك العلاقات وثيقة بين الولاة العثمانيين وابن السنوسي تبادلا فيها المصالح المشتركة بين الطرفيين لا سيما فيما يتعلق بالخطر الفرنسي، وتلك المحاولات الدائمة من أجل مد النفوذ الفرنسي والسيطرة على غات وغدامس وتجارة السودان؛ حيث أن الإمام محمد بن على السنوسي كان يرى أن الدولة العثمانية أمر واقع، ولابد من التعامل معه [vi] .

وعلى الجانب الآخر فقد كانت فرنسا تدرك خطر الحركة السنوسية ودائما ما يصفون السنوسية بالتعصب، وهي بذلك تحاول ومن خلال أفكارها المتطرفة إقامة حاجز متين بين المصالح المشتركة للشعوب التي لا تستطيع الاستغناء عن بعضها وكذلك موقف الحركة السنوسية من الكثير الشخصيات النضالية في حركة الجهاد الجزائري[vii] ضد فرنسا، وعلى سبيل المثال دعم الشيخ الشريف محمد بن عبدالله [viii] خلال فترة الخطر الذي كانت تشعر بها فرنسا من الحركة السنوسية؛ فقد ظلت السنوسية خطراً كبيراً في كل الصحراء الكبرى، وكان لهذه الحركة دور كبير في إبطاء التحرك الفرنسي في الصحراء الكبرى على الرغم من التهور الفرنسي المعهود[ix] .

ثانيًا: التودد الفرنسي تجاه سكان غات:

لعل سقوط الجزائر في أيدي الفرنسيين والسيطرة عليها، والتوغل داخل الصحراء الجزائرية ومحاولة السيطرة على المدن في الصحراء الليبية أهمها مدينة غات التي كان يحكمها السلطان الطارقي اخنوخن ((IKHENOUKHEN)) وهو الحكم الفعلي للمدينة وما يجاورها من مناطق جعل فرنسا تفكر كثيراً في البحث عن حيلة من أجل بسط نفوذها واستمالة قبائل الطوارق؛ فبدأت بإرسال الرحالين، والمكتشفين فهرعوا يجوبون الصحارى بدعوة السياحة تارة والتجارة تارة أخرى، ولكن طوارق غات لم يسمحوا لهم باجتياز حدود الأراضي التي يهيمنون عليها ويعدونها وطناً لهم، ولا يحق دخولها بدون موافقتهم، وعبثاً حاولوا إقناعهم بالوسائل المذكورة إلا أن فرنسا لم تتوقف وحاولت جاهدة الوصول إلى كل من غات وغدامس بكافة الطرق من أجل السيطرة عليها، وبدأت المحاولات الفرنسية من أجل إقامة علاقات مع الطوارق في مدينة غات، وكسب زعمائهم، وهذه الجهود الفرنسية أسفر عنها عقد معاهدة غدامس 1862م[x] .

إن الموقع المتميز لمدينة غات هو ما دفع الفرنسيين إلى محاولة؛ ولذلك رأت فرنسا أنه من الضروري عقد معاهدة مع السادة الفعليين على هذه المناطق، والمراكز المهمة وهم الطوارق، وسلطانهم أخنوخن، وتم اختيار " الواد " مكاناً لتوقيع الاتفاقية لكن اخنوخن رفض هذا المكان كونه يمثل أرضاً فرنسية، ويمكن أن تعد الاتفاقية نوعاً من الخضوع لفرنسا، وكان موقفه مشرفاً، وتم الاتفاق على غدامس وبالفعل وصل إلى مدينة غدامس الوفد الفرنسي المكون من المقدم ميرشر((H . MICHER)) والنقيب ل .دوبوليناك L. de ((polinac)) إلى جانب محلق مكتب شؤون العرب الطبيب هوفمان hofman (( )) إلى جانب اسماعيل بوضربة بصفته مترجمًا لممثلين عن فرنسا، وقد حضر الوفد عن طريق طرابلس، وكان برفقته وحدة عثمانية، ولعل من الغريب أن الزعيم الطارقي أخنوخن لم يحضر الاجتماع على الرغم من التنسيق المسبق معه من أجله وقد وقع على المعاهدة أخوه الحاج عمر، والشيخ عثمان، وهو من قبيلة أفوغاس، وكذلك جبور امغار عن قبيلة امنغساتن ، وبعد مفاوضات طويلة وقعت الاتفاقية يوم 26- نوفمبر 1862م تم الاتفاق بين الطرفين على ما يأتي وهذا حسب **ما ورد في نص الاتفاقية بين الطرفين** [xi] :

1- توطيد الصداقة والتعاون بين السلطات الفرنسية، ورؤساء، وزعماء الطوارق.
2- أعفاء الطوارق من المكوس عن أموالهم [xii] .
3- أن يضمن الطوارق سلامة التجار الجزائريين القاصدين السودان خلال عبورهم أرض الطوارق، ويأخذون عن ذلك إتاوة المرور وأجرة الجمال حسب المتعارف عليه.

4- يترك الوالي العام في الجزائر أمر تحديد أسهل طريق للتجار الفرنسيين القاصدين للسودان لخبرة رؤساء الطوارق ، أيضًا تدفع المصاريف لفتح الآبار، وصيانة الطرق [xiii].

إلى جانب بعض البنود التي تم تضمينها إلى هذه المواد، ولعل بهذه الاتفاقية قد عدت فرنسا الطوارق في غات شعباً مستقلاً لا يتبع أية سلطة وهذا يمهد بدوره إلى السيطرة على هذه المدن الصحراوية والتي كانت فرنسا دائما تسعى من أجل السيطرة عليها، وعلى الرغم من من ذلك فإن هذه الاتفاقية لم تتحقق بالشكل الذي كانت فرنسا تسعى إلى تحقيقه؛ وذلك بسبب قيام الانتفاضة في الجزائر وكذلك إلى جانب بعض التدابير التي اتخذتها الدولة العثمانية من أجل فرض السيطرة على مدينة غات التي كانت خارج السيطرة العثمانية [xiv] .

وإلى جانب ذلك فقد اتخذت الدولة العثمانية حذرها عقب تحذير الدبلوماسيين الإنجليز لدى الباب العالي من التحركات الفرنسية، وقد جعل هذا الأمر الباب العالي يصدر أوامره للتحقيق عن طريق والي طرابلس محمد نديم باشا، وقد عرف بتقديره للمخاطر واتخذ جملة من الخطوات بدأها بتوجيه تقرير للباب العالي يشرح له فيه الوضع المتمثل في التودد الفرنسي تجاه الغاتيين المبني على إرسال عدد من المبعوثين للسعى من أجل تحويل خط التجارة الصحراوية من مراكزها الرئيسة في ايالة طرابلس الغرب إلى منطقة السيطرة الفرنسية في الجزائر [xv] ووضع التسهيلات للقوافل مثل الغاء الرسوم والإجراءات المفروضة، وتأمين الجمال، والمال وعلاوة على ذلك فقد قدم الفرنسيون إغراءات مادية لرؤساء القبائل، واختاروا ممر سوف – غدامس – غات طريقاً لتجارة السودان على أن تكون غدامس محطة، ومركزاً لذلك [xvi] .

ثالثًا - ضم غات للسلطة العثمانية 1875م :

تعددت الآراء حول السبب الرئيس لضم غات للسلطة العثمانية، وعلى الأرجح أن النزاع بين الطوارق ((الأزقر والهقار)) هو ما أدى إلى ضم غات للإدارة العثمانية ؛ فهذه المدينة المتمردة على أي حكم أو سلطة قد تقيد حرية السكان فيها لا سيما الطوارق، وفي حقيقة الأمر فهناك الخطر الفرنسي الذي يسعى من أجل التمدد، و السيطرة على بعض المدن في الصحراء الليبية، وكان دافع من أجل فرض السيطرة على هذه المدينة، وكذلك فإن مفاوضات محمد الصافي مع المتصرف العثماني عن دعوة مكتوبة وجهها على بن محمد الغرياني إلى مشايخ القبائل العربية للتوجه إلى غات، ووضع أنفسهم تحت تصرف اخنوخن ومحمد الصافي من أجل مناصرتهم للطوارق في غات، وقد تحقق لهم النصر، ويبدو أن هذا الصراع بين الطرفين كان مستمراً؛ ولذلك كان طوارق الآزقر يدركون أن طوارق الهقار سيثأرون للهزيمة التي لحقت بهم .

ويذكر كروازة أنه جرى الاتفاق على كل شيء بين ملك غات، والمتصرف العثماني في فزان، وربما كان عليه أن يخضع للسلطان العثماني، وللحيلولة دون التعرض لإزعاج الهقار وافق السلطاني الطارقي على هذا الاقتراح، وقد زاد محمد الصافي على نجاحه هذا بقوله إذا لم يستدع العثمانيون المسلمون إلى البلاد سيستولي عليها النصارى الفرنسيون[xvii] .

ونتيجة لذلك كتب بعض أهالي غات إلى السلطان العثماني يطلبون الحماية، وأرسلوا سفارة إلى مرزق وطرابلس، وعلى الأغلب فإنهم قد طالبوا أن يسمح للوفد بالسفر الى اسطنبول غير أن الوالي العثماني مصطفي عاصم باشا لم يجد أية ضرورة أن يتابع الوفد سفره إلى العاصمة العثمانية، ثم بادر زعيم الطوارق اخنوخن بالاتصال بحكومة طرابلس؛ حيث أطلعها على وضعه الحرج ملحًا عليها بأن تسمح له بتجنيد عدد من الفرسان والمشاة من بين أفراد قبائل فزان الخاضعة للباب العالي العثماني ، بقصد تصدي هؤلاء المجندين للحملة الجديدة التي كان طوارق الهقارة يجهزونها ضد غات، ورغبة من مصطفي عاصم باشا في حماية اخنوخن الذي أعلن خضوعه للباب العالي فإنه أصدر أمره إلى متصرف مرزق باحتلال غات بقوات نظامية، وبأن يعين لها محمد الصافي الذي كان له نفوذ في هذه البلاد منذ زمن طويل؛ وذلك كي يحميها[xviii] .

وبالفعل فقد دخل على بن محمد الغرياني غات بمرافقة اخنوخن ورجاله، وتلا الفرمان الذي أحضره معه، ورفع العلم العثماني على غات؛ وبذلك اصبحت تابعة للسلطة العثمانية، وفي حين كانت الدولة العثمانية تفقد الكثير من المناطق التابعة لها، ضمت إليها دون قتال مدينة مهمة بحجم غات، وأصبح محمد الصافي بن الحاج لامين ابن الحاج الصديق الانصاري قائمقامًا، أو ممثلًا للباب العالي في غات بعد سيطرة الدولة العثمانية على فزان في عام 1842م [xix] .

وقد أدخل العثمانيون بعض التعديلات على التقاليد التي كانت متبعة في المدينة، وفي إدارتها فقد أصبح شيخ المدينة قائمقامًا عثمانيًا، وبقيت إدارتها بيد الأنصار الذين عرفوا بتأييدهم لضم المدينة إلى الولاية وتخليصها من الأطماع المحيطة بها، واستمرت عائلة الأنصاري تدير دفة الحكم في المدينة لفترة، وكان آخر من تولي الحكم من أفراد هذه العائلة هو القائمقام حسن الأنصاري، وبعد ذلك أخذ نظام الحكم في غات مسارا أخر؛ حيث نقلت اختصاصات القائمقام العثماني من رجال مدنين إلى رجال من السلك العسكري يحكم المدينة في ظل النفوذ العثماني، ويشير الجامي إلى ذلك بقوله " **أن وضع العائلة ظل مميزًا باعتبار أن ذلك يشكل حقاً تاريخيًا مكتسبًا لهذه العائلة**"[xx] .

ويبدو أن استمرار حكم أبناء هذه الأسرة لمدينة غات جاء ضمن اتفاق عقد بينهم وبين العثمانيين، وبعد فرض السيطرة العثمانية أصبحت غات قضاء تابعًا لمرزق، وعين حاكمها محمد الصافي في منصب قائمقام، واستمر في

منصبه حتى عندما هاجم الطوارق المدينة، وقضوا على الحامية العثمانية في 1886م إلا أن إصرار التجار والإدارة العثمانية على حل الأمور بالتعقل أدى إلى دخول القوات العثمانية مرة أخرى إلى غات عام 1887م، وعين حسين أحمد الأنصاري أبن أخ محمد الصافي قائمقام على غات وخصصت رواتب لرؤساء الطوارق، ومجموعة من زعمائهم ومتصرف فزان نياشين مجيدية تقديرًا لخدماتهم في تأمين غات، وصدرت سنية في 16- 7-1875م منح بموجبها على بك متصرف فزان نيشانا مجيديًا من الدرجة الرابعة، ومنح محمد الصافي قائمقام غات واخنوخن سلطان الطوارق نياشين مجيدية من الدرجة الخامسة لما قدمه هؤلاء من خدمات في سبيل ضم غات إلى الدولة العثمانية وبرزت في المدينة أركان الحكم العثمانية من القائمقام والحامية والقاضي[xxi] .

رابعًا: دور الرحالة الأجانب:

على الرغم من دخول المدينة تحت السيطرة العثمانية إلا أن غات بالنسبة لفرنسا تعد غاية في الأهمية؛ فقد كانوا شديدي الاهتمام بها؛ فهناك الكثير من المشاريع من أجل التوسع في الصحراء الكبرى والسيطرة على مدينة غات من خلال الرحالة الأجانب أو مشروع السكة الحديد وبعثة فلاتر[xxii]؛ فبعد احتلال فرنسا للجزائر أصبحت فرنسا ترسل الطلائع الاستكشافية إلى مدن الصحراء الليبية، وكانت غات أحدى أهم تلك المدن ، وقد كانت تلك الطلائع تحت غطاءات مختلفة تارة باسم التجارة، وتارة باسم السياحة ، ولو عدنا قيلًا إلى بداية هذه الرحلات نجد أنها كانت منذ زمن بعيد؛ فلم يكن تفكير فرنسا في التوسع العسكري، والسيطرة على هذه النقاط المهمة في الصحراء الليبية وليد لحظة بل يعود لعام 1824م إذ تمكن هذه العام الموفد **رينيه كاييه ((Rene caiie)[xxiii])** من الظفر بلقب أول مغامر فرنسي يصل إلى عمق الصحراء الكبرى، ومع مطلع الخمسينات بدأت الكثير من الرحلات للوصول على هذه المدن الصحراوية، وهذا أدى إلى وجود بعض الصراعات على مستوى الدول الأوروبية كالصراع بين فرنسا والمانيا؛ فقد نظرت فرنسا بعين الشك والريبة للرحلات الألمانية عبر الأراضي الليبية لاسيما في المدن المجاورة للمستعمرات الفرنسية، وقد عبر عن ذلك القنصل الفرنسي في طرابلس الغرب شارل فيرو بقوله : **((منذ قيام الرحالة الالمان برحلاتهم العلمية عبر بلد مجاور للجزائر أدركت فرنسا أن الباعث الحقيقي لذلك الغرض من الرحلات ... [xxiv]))** فهذا الكلام يوضح أن الفرنسيين كانوا يراقبون تحركات الرحالة الألمان عبر الصحراء الليبية كما كان هدف الرحلات الاستكشافية الفرنسية هو دراسة السكان والمكان، وجمع مختلف المعلومات عن المنطقة خدمة للسياسة الاستعمارية التي انتهجتها فرنسا في ذلك الحين. وهي السياسة الطامحة إلى السيطرة على بعض المناطق والمدن المجاورة للجزائر بغية ربط المستعمرات الفرنسية جنوبا وشمالا معها؛ فدراسة السكان استهدفت معرفة المكونات الاجتماعية للصحراء الليبية بحثاً عن منفذ يمكن الفرنسيين من النفاذ إلى نقاط الضعف؛ لتفكيك هذا المجتمع من الداخل؛ ولإبعاد أية مقاومة من شأنها أن تواجه بجدية مشاريع إخضاع تلك الأجزاء للاستعمار الفرنسي، فقد قضى كثير من الرحالة الأجانب فترة طويلة في مدينة غات ومنهم جيمس ريتشاردسون الذي أمضى شهرين في غات في نهاية عام 1845 وبداية عام 1846 وكان هاينريش بارث قد عبر المنطقة في عام 1850 برفقة ريتشاردسون، كما قضى اسماعيل أبو ضربة ستة أيام في خريف 1858، وعلى الرغم من نجاح بوضربة في بعثته إلى غات إلا أن الوالي العام للجزائر لم يطمئن؛ لكون بوضربة عربي مسلم وهو يريد أن يعرف رد فعل السكان حين استقبالهم لفرنسي أجنبي عنهم؛ لذلك رشح هنري دوفيرية لهذه المهمة ليمهد إلى تسرب النفوذ الفرنسي للجنوب بمنطقة تاسيلي، وإقليم توات ولم تكل فرنسا، ولم تمل في الكشف عن أسرار الصحراء ،والبحث عن المجالات الواسعة فيها، وإيجاد طرق جديدة للتجارة الفرنسية حيث أبرمت معاهدة غدامس في مدينة غات ولعل أخطر هؤلاء الرحالة وأكثرهم تعصباً هو الرحالة دوفيرية[xxv] الذي حاول العمل على إقامة علاقات مع زعماء الطوارق وزعيمهم اخنوخن في عام 1860 حيث تم تكليف هنري دوفيريه بمهمة رسمية وبدعم من وزارة المستعمرات، ثم الحكومة العامة كما شاركت في هذه المهمة وزارات التجارة والصناعة والأشغال العامة، والشؤون الخارجية، لكن لم يستطع الدخول الى غات، ورجع الى طرابلس عام 1861م، وكان دائما ما يثير القلق هو عدم الترحيب بالفرنسيين في غات، وقد وجه هذا السؤال إلى خنوخن قال له هل يمكن أن تخبرني لماذا لا يُرحب بالمسافرين الفرنسيين في كل مكان يذهبون إليه في أفريقيا بينما الإنجليز مرحب بهم أينما ذاهبوا ؟. [xxvi] فإذا كانت علاقات فرنسا مع الباب العالي كذلك، وعلى الرغم من العروض التي قدمها هنري دوفيري من أجل إقامة علاقات قوية مع الطوارق، ومن ثم الوصول إلى غات، لم تكن في المستوى بالنسبة لخنوخن الذي صرح له بأن هذا العرض لم يطعم الفرس لمدة شهر وأخبر دوفيرية أن الجميع يستاء منه حتى العثمانيين وحتي الطوارق؛ وذلك بسبب ميله إلى فرنسا/ ومن العلاقة بينهما ويبدو أن اخنوخن كان يفضل التعامل مع الإنجليز[xxvii] ، ويقبل البعض على تعلم بعض المصلحات الإنجليزية، ويبدو أنه أكثر سخاء من الفرنسيين على الرغم من تحسن العلاقة بين اخنوخن وهنري المبعوث الفرنسي إلا أنه لم يستطع الدخول إلى غات، كما انتشرت شائعة أن المفوضات في طرابلس الغرب تجري من أجل التنازل عن غات للفرنسيين، وتزامن ذلك مع تحركات للقوات الفرنسية في توات، وهذا ما أقلق سكان مدينة غات الذين كانوا يعتقدون أن هذا الرحالة يتبعه الجنود؛ فعلى ما يبدو أن الظروف المالية وكذلك الصحية لم تؤهل دوفيرية إلى تحقيق أهداف هذه الرحلة لولا المساعدات التي كانت تصل في إطار ما يعرف بمنحة الحكومة والمقدرة بألفي فرنك فرنسي؛ فعلى أثرها انطلق من غدامس إلى غات بعد مسالك صعبة عبروها، ثم الوصول إليها، ولم يجد الاستقبال الحسن من الأهالي في غات؛ إذ منع حتى من الماء[xxviii] ، فوصل يوم 18 يوليو، وعد غات مدينة مهمة من

حيث تجارتها الخاصة، وسوقها السنوي الكبير بكونها منطقة عبور ولعل ذلك يعود إلى خوف التجار على مصالحهم الاقتصادية إلا أنه اندمج مع الطوارق، واطلع على الكثير من عاداتهم، وكتب تقريراً عن هذه الرحلة كما حاول تعلم لغة التماشق، وبعد ذلك مكث قرابة عام في منطقة الآزقر، ثم غادرها باتجاه مدينة مرزق ومن هناك توجه إلى فزان، ثم الى طرابلس الغرب أما المعلومات التي حرص دوفيرية على جمعها في رحلته كانت ترتكز على وضعية مجتمع الطوارق بصفه خاصة، وتأمين طرق القوافل، وأن الحكومة الفرنسية كانت ترغب في إقامة علاقات مع الطوارق في غات وتهدف إلى ضمان سلامة مرور القوافل التجارية المارة بالقرب منها أو في أراضيهم[xxix] .

كانت المرحلة الثانية جد مميزة بأحداثها؛ حيث برزت إلى الوجود مشاريع السكة الحديدية عبر الصحراء الجزائرية باتجاه تشاد وكذلك السنغال ، لربط مستعمرات فرنسا بعضها بعضا، والسيطرة على التجارة الصحراوية؛ ولتحقيق ذلك بعثت الدوائر الحكومية الفرنسية والغرف التجارية مجموعة من المكتشفين إلى مناطق مختلفة من الصحراء الكبرى والذي يهمنا هنا بعثة فلاترز الذي حاول الوصول إلى غات من أجل هذه المشاريع لفرنسا، وكان الطوارق يحاولون المحافظة على أراضيهم، وإبعاد وصد كل غريب عنها، وهو ما حدث مع بعثة فلاترز الذي كلفته المؤسسة الجغرافية عام 1880م بدراسة الممرات الخاصة في جنوب ورقلة و فحصها[xxx] ، محاولًا من خلال ذلك إيجاد مسالك لربط السودان بحوض تشاد كان فلاترز يتمتع بميزات كثيرة أهمها إتقان اللغة العربية، واللهجة البربرية، وهو ملاحظ دقيق في جغرافية البلدان، وتواريخها الأمر الذي أهّله للاختيار من طرف الوزارة الحربية الفرنسية للإشراف على مشروع استكشافي لجغرافية وطرق الصحراء الوسط لربط الصحراء السودان عبر الجزائر بخط السكك الحديدية[xxxi]، وتتكون البعثة من عشرة أعضاء هم فلاترز عقيد المشاة، والقائد الأعلى الأسبق للأغواط وموسون ((Musson))، ونقيب أركان الحرب وبرانجر((Beringer)) مهندس الجسور والطرقات وروش((Roche))،ومهندس المناجم، وبرنارد ((**Bernard**))، والنقيب في سلاح المدفعية، وغيارد ((**Guiard**))K والطبيب، ولو شاتولييه ((**Le Chatilier**)) وغيرهم، ولما وصلت البعثة إلى

ورقلة جمعت الحرس الضروري لمرافقتها خوفاً من الأهالي الذين كان معظمهم من الشعانبة المعروفين بعدواتهم للطوارق وفي تيماسنين ((**Temassinin**)) [xxxii] والتي عرفت فيما بعد "فور فلاتر"دخلت اللجنة في محادثات أول مرة مع رجال التوارق، وهناك علم فلاتر أن أحد زعماء توارق الهقار يتجول في الجنوب الغربي لجبال الهقار، وهو "اهيتاغل امنيكول ((Ahitaghel))، بينما يوجد زعيم طوارق الآزقر اخنوخن ((Ikhenoukhen)) في غات، ونظرًا لأن الأول كان بعيداً قرر أن يطلب موعدًا للاجتماع عند بحيرة منغوغ عند منتصف الطريق من غات، محاولاً من خلال ذلك ربط علاقات صداقة معه حتى يسمح له لكنه لم يتلق أي رد منهْ؛ لذلك اضطر إلى مغادرة المنطقة، والعودة إلى ورقلة بتاريخ 17مايو 18802، قام خلالها بمسح 1200كيلومتر من الطريق المخطط للسكة الحديدية عبر الصحراء؛ حيث نظم رحلته الثانية إلى أقصى الجنوب الجزائري؛ وذلك لاكتشاف بلاد الطوارق، ودراسة مشروع مد خط حديدي عبر فيافي الصحراء، وضمت هذه البعثة إحدى عشر فرنسي وسبعة وأربعين جندي من الأهالي، واثنين وثلاثين قائد بعير، وثمانية رجال من الشعانبة للاستدلال عن المسالك وأربعة طوارق، ومجموعة من الجمال تحمل أمتعتهم، وفي طريقه كتب إليه "فيرو((Feraud)) قنصل فرنسا العام في طرابلس الغرب رسالة يحذره فيها من نيات الطوارق العدوانية، ويخبره أن لأهقار ذهب إلى رئيس الأزقر إخنوخن وأنّبه بقبول معاودة البعثة استكشافها، إلا أن الكولونيل لم يأخذ التحذير بعين الاعتبار؛ فواصلت البعثة رحلتها في ظروف صعبة؛ حيث نفذ ماؤها وعطش بعض أفرادها ، وظهر عليهم الإعياء والإرهاق، وتفككت صفوفها، وتباعدت المسافات بين أفرادها، وكان العقيد فلاترز يشجعهم ويتقدمهم حتى عثروا على غدير به قليل من الماء ، ثم وجدوا بجانبه بئرا نصبوا مخيمهم حوله، ومكثوا يومين هناك ، وتقابل فلاترز في هذه المنطقة مع كثير من الطوارق الذين توعدوه؛ لأنه لم يظهر لهم الاحترام والتقدير، واستأنفت الرحالة ودخلت سهلا شاسعاً رملياً، وحوالي الساعة العاشرة صباحاً توقفت البعثة، وأعطى فلاترز الأمر بنصب الخيم ريثما يقوم مع مساعديه والدليل بالعثور على البئر الغرمة لكن الطوارق نصبوا له كمينا بجانب البئر ووقعت معركة عنيفة بين الطرفين قتل على إثرها فلاترز وبعض أعوانه، وكان ذلك في 15- 2- 1881م. وهناككثير من العوامل أدت إلى تحديد مصير هذه البعثة منها القوات المحافظة على الوفد ضعيفة، ولا تحمل سلاحا بل أبقته داخل الصناديق لأن فرنسا كانت تظن أن البعثة ستعبر بلاد الطوارق بعدد قليل من الحرس، وعدم الوضع في الحسبان أن الطوارق كبقية القبائل العربية مغرمون بالحرية، وأنهم على مدى مئات السنين يتمتعون بالصحراء دون أن يخضعوا لأي حكم؛ فقدوم فرنسا إلى الصحراء قد يكون فيه انتهاء حريتهم؛ ولذلك لن يسمحوا بذلك مهما كلفهم من ثمن[xxxiii] .

كانت هذه الحادثة التي وقعت، وأحدثت دوياً واسعًا في طرابلس ضربة قاضية سددت للنفوذ الفرنسي في الصحراء الكبرى، ولقد علم شارل فيرو بالنبأ من خلال برقية تلقاها في 6 ابريل 1881م من الحاكم الفرنسي العام في الجزائر؛ فأوفد عندئذ وعلى الفور مبعوثًا إلى الطوارق وما لبث أن توفر لديه يقين راسخ بأن مغتالي أعضاء البعثة كانوا هم الهقار الذين يتزعمها حيتاغل، ويبدو أن المدعو بن عيسى قائمقام غدامس كان من الضالعين في تلك العملية أن لم يكن هو نفسه المحرض عليها، ويبدو أن للعثمانيين يد فيما حدث لإفراد البعثة، وربما تم اغراء بعض الطوارق بالمال أو بالهدايا من أجل القيام بهذه المهمة، أو ربما كانت مجاملة من الطوارق للدولة العثمانية، وهو نوع من التودد إلى السلطان العثماني خليفة المسلمين والدولة العثمانية التي تتخذ الدين وسيلة من أجل فرض السيطرة على البلدان الإسلامية[xxxiv] .

خامسًا- ثورة غات 1886م ضد السلطة العثمانية :

تعددت الروايات حول أسباب تلك الثورة والأرجح أنها بسبب شخصين أحدهم يدعى حميد، و الآخر حمد[xxxv] عند قيامهم بحركة تمرد ضد العثمانيين بالشاطئ؛ حيث قتل في هذه المعركة كثير من المواطنين، وقد فر هذان الشخصان، وقامت السلطات العثمانية بتتبع آثارهم؛ حيث علمت أن حميد موجود بالبركت، وهي قرية قريبة من غات وهو يحرض الطوارق على أن يبعثوا معه الرجال ليجاهد في سبيل الله[xxxvi] .

أرسل الحاكم محمد الصافي قوة تتكون من سبعة وعشرين رجلًا وضابطاً؛ حيث هاجموا الشريف حميد في بيته، ولما حاول الدفاع عن نفسه رموه ببنادقهم وتركوه؛ فتحرك أهالي البركت من أجل حماية ضيفهم وكانت هذه الشرارة التي أشعلت الثورة في غات، إلا أن أهالي غات قاموا بإنذار قائمقام غات محمد الصافي أن يخرج الحامية العثمانية منها، وبعدها إلى مرزق، أو يقتلوهم كما هددوا بقتل كل من يعترض طريقهم من الأهالي، أو من التجار، وكان متصرف فزن قد سارع بعد عودة رسوله إلى إرسال قوة إضافية إلى غات إلا أن الثائرين قاموا بمحاصرة غات واعترضوا أي مدد جديد ترسله مرزق، وقد كانت الظروف صعبه في غات بسبب هذا الحصار، وكتب قائمقام غات إلى قائمقام غدامس يصف له الحالة التي تمر بها غات ويحيطه علمًا بأهم الأحداث التي جرت فذكر أن عدد الخارجين قرابة المائتين، وأن مطلبهم هو خروج الحامية العثمانية من غات[xxxvii] .

أثرت هذه الأحدث بشكل كبير في التجارة لا سيما تجارة غات التي كانت مركزًا من أهم مراكزها، وقد وأهتم تجار القوافل في غدامس بمتابعة الأخبار وكان لهم مندوبون في غات، وتلك الفترة الطويلة من الحصار الذي فرض على مدينة غات توفي فيها الشيخ محمد اخنوخن زعيم الطوارق، وكان هذا العام هو الأشد على غات، حصار وموت زعيم الطوارق وكذلك انعدام كثير من السلع التي من المفروض أن تدخل إلى المدينة حتى أن المدينة كانت تفتح فترة بسيطة جد، وبعد ذلك يتم اقفال الباب [xxxviii]

لم يمض وقت طويل على الانضواء تحت الحكم العثماني حتى قاموا بهذه الحركة، ومن جديد فقد تم رفع العلم العثماني في غات 1887م، وقد كان بعض سكان غات يرغبون في الحكم العثماني، وربما كان بإمكان العثمانيين أن يستولوا على المدينة بالقوة ولكنهم عادوا إلى المدينة بالتفاهم مع بعض القبائل وقد جاء إلى فزان بعد أن نصب متصرفًا لها أحد نبلاء طرابلس الغرب، وهو منصور باشا برفقته بضع مئات من الفرسان، وعندما استسلم الطوارق ودخلت القوات التركية غات 1887م نصب الحاج أحمد بن حسن الأنصاري ابن أخ محمد الصافي برتبة قائمقام على غات، وكان استرداد غات دون سفك الدماء مفيدًا لعلاقات العثمانيين مع الطوارق في المستقبل ولكنه أثر سلباً في النفوذ العثماني في الصحراء؛ فقد أغلق ممر غدامس غات في وجه القوافل التجارية مدة من الزمن أسفر عن ذلك تغير التجارة نحو شرق فزان[xxxix] .

سادسًا- المساعي الفرنسية للسيطرة على غات :

كانت فرنسا دائمًا تحاول أن تضع يدها على الممر المهم والذي طالما سعت من أجل السيطرة عليه، وهو ممر غدامس غات؛ حيث جعل لهذا الممر أهمية كبيره لهاتين المدينتين في قلب الصحراء الكبرى حيث يعد هذا الممر هو الأقرب إلى طريق السودان وهذه المنطقة كانت تسيطر عليها بعض القبائل، ولو أنها كانت تتبع اسميًا الدولة العثمانية في تلك الفترة وذلك حسب معاهدة 1890م، وأي تحرك تجاه هذه المنطقة سوف يخلق الكثير من المشاكل الدولية واتضح هذا الأمر عند مراجعة بعض الغدامسيين للسلطات الفرنسية عند الاحتلال الايطالي[xl] .

وبعد تلك المراجعة بدأت الصحف الإيطالية تنشر أن فرنسا تنوي الاستيلاء على غدامس لجذب تجارة الصحراء إلى ممتلكاتها؛ وذلك بعد ورود معلومات عن أن الفرنسيين سيقومون ببناء سكة حديد بين غدامس وغات، ويبدو أن القيادة الفرنسية كانت تناقش فعليًا موضوع التحرك إلى غدامس وغات عند احتلال ليبيا بوسطة دولة أخرى، كما تم مناقشة فوائد تأسيس وكالة غدامس من أجل تأسيس أسواق قرب غات وغدامس، وتسهيل المعاملات للتجار؛ ولجذبهم إلى داخل حدود الحكم الفرنسي؛ ولتحقيق هذا الأمر يجب أن توسع صلاحية القادة والضباط العاملين في الحدود وتأسيس قنصلية في غدامس[xli] .

ويبدو أن القنصل الفرنسي في طرابلس الغرب قلق من اتخاذ مثل هذه الإجراءات، وذكر بالتحركات السابقة، وأن تكرارها يزيد سلطان الدولة العثمانية وربما، وإن وافقت السلطات العثمانية على تأسيس الوكالة سيودى ذلك إلى قيام إيطاليا وبريطانيا بتأسيس وكالات أخرى الأمر الذي يجعل الوكالة الفرنسية غير فعالة؛ لذلك اقترح إرسال شخص جزائري أو تونسي الأصل تحت رداء تاجر صغير ليسكن مدينة غدامس لهذه المهمة[xlii] .

كما درست فرنسا السيطرة على طريق غات – غدامس بالقوة عام 1890م عندما قام بوفنايت (Bufenayt) وهو زعيم قبائل الطوارق في ليبيا ورئيس قبيلة منغساتن بمعركة مع طوارق الجزائر وذلك من أجل فتح طريق السودان حتى أنه سيأخذ غات من العثمانيين إذا احتاج الأمر إلى ذلك تأكيدًا لصداقته لفرنسا، ولكن هذ لم ينفذ لأن الاستيلاء على هاتين البلدتين يعد لدى إيطاليا والدولة العثمانية بداية الاستيلاء على ليبيا، وكذلك كانت فرنسا تخشى من المحاولات التي تفقدها صداقة العثمانيين، ولكن كانت مع ذلك تحاول أن تجذب الطوارق إلى ممتلكاتها، وقد كانت تحاول توجيه تجارة غات غدامس إلى مرفأ قابس، ومعروف أن تلك التجارة بيد الغدامسيين، وأنهم حريصون على مصالحهم؛ فإن رأوا مصالحهم كبيرة في تغير الطريق عبر قابس فسيغيرونه

بدلًا من طرابلس[xliii] .

ويبدو أن الموضوع الأساس لم يكن تغير مسار الطرق التجارية فقط بل النفوذ إلى الصحراء عن طريق السياسية سليمًا، وكان تخطيط تونس يعتمد على جلب تجارة غدامس وغات إلى تونس؛ فقد كانت تجارة غات وحدها تقدر بأربعة مليون فرنك، ثم تأتي بعدها تجارة السودان، وفرضت بالفعل قابس مركزاً لهذه التجارة، وعندها بدأت محاولات كسب الطوارق ولكن لم تنجح القوافل التي توجهت من غدامس وغات إلى تونس، كما أخفقت محاولات كسب الطوارق انطلاقا من مصالحهم؛ وذلك بعد فشل دوموريس Marquis (Mores) قرب سيناون عام 1896م الذي حاول المصالحة، وكسب ود الشعانبة والطوارق [xliv] .

كما كانت فرنسا دائما تسعى للتدخل في شؤون الطوارق، وأحيانًا كان الطوارق تابعين للدولة العثمانية وطلبوا الحماية ضد الفرنسيين في رغبه منهم لتأكيد تلك التابعية إلا أن الدولة العثمانية لم تستطع تحقيق الحماية الكافية في كثير من الأحيان كما حدث عام 1893م عندما أغار العرب على الطوارق الذين كانت مضاربهم قرب غدامس، وقتل بعضهم، ونهبت جمالهم، وقد خلف ذلك بغض عند الطوارق وأعطى الفرصة للفرنسيين بالتدخل لصالحهم [xlv] وعلى الرغم من ذلك فقد باءت كل محاولات الفرنسيين للتحكم في الطوارق وحمايتهم بالإخفاق كما أن مجيء الضباط الفرنسيين إلى أبواب غدامس، وطلب رؤساء الطوارق مساعدة الفرنسيين في 30-3-1894م ومحاولة الفرنسيين لحماية الطوارق الاستيلاء على غدامس، وجلب التجارة السودانية نحو ممتلكاتهم، وقد وصل وفد الى غدامس باسم مكتب السودان – وورقلة ووقّع عقداً لشراء العاج بأسعار طرابلس الغرب وتدخل القائمقام لدى سماعه بالخبر، وبعد جلب الطرفين اتضح أن الشاري هو جاسوس فرنسي يحاول نقل تجارة السودان من طرابلس إلى الجزائر، وطلب البائع فسخ العقد سريعًا، وأبلغ السكان بأن البيع والشراء مع الفرنسيين ممنوع، وأعاد الكرة بعد بضعة أسابيع عند قدوم تاجر جزائري أيضًا؛ فتحركت السلطات الفرنسية بعد اطلاعها على الأمر، وقامت بمحاولة عزل قائمقام غدامس لتثبت للصحراويين مدى نفوذهم[xlvi] .

وهكذا تبين لنا أن العثمانيين كانوا لا يرغبون في التوسع بعد غات وغدامس، وأنهم لا يرغبون أيضًا في دخول الطوارق تحت حكمهم فعلياً بل ببقائهم تحت الحماية فق،ط وأنهم كانوا يراقبون التحركات الفرنسية نحو غات، وغدامس، ويمنعون الفرنسيين من الاستيلاء على طرق تجارة السودان بأساليب جديدة لكي تستمر تحت سيطرة ليبيا، وبعد أن رأى الفرنسيون تمسك العثمانيين بغات، وكذلك غدامس حولوا خطتهم لتحسين العلاقات مع الطوارق؛ وإحياء معاهدة غدامس 1862م؛ وذلك ليحققوا النفاذ إلى الصحراء لكن تلاشت أمال الفرنسيين مره أخرى عند مصرع دي موريس في يونيه 1896م الذي كان يقوم بجولة في الصحراء على أيادي الطوارق، وهذا ما جعل فرنسا تفرض سياسه أخرى بدل أساليب الصلح .

الخاتمة

يتضح لنا مما سبق أن الصحراء الكبرى قد شهدت حركة تجارية دائبة ولاسيما تجارة السودان والتي كانت مشكلة قائمة أدت إلى صراع بين فرنسا والدولة العثمانية ، بالإضافة الى التنافس حول كثير من النقاط الحساسة في الصحراء الكبرى ولا سيما الصحراء الليبية، ومنها كانت مدينة غات وغدامس ونلاحظ أن هذا الصراع قد اشتد بعد احتلال فرنسا للجزائر، وكان على الدولة العثمانية إيجاد الحل لمشكلة المد الفرنسي تجاه الصحراء الليبية، ومحاولة السيطرة على هذه المدن الصحراوية المهمة .

كما اتضح لنا كيف سعت فرنسا من أجل التقرب إلى سكان غات من الطوارق، والتفاهم معهم حاولت عقد اتفاق معهم عام 1864م إلا أن دخلت تحت السيطرة العثمانية بعد معارك بين الطوارق فيما بينهم، وهذا لم يمنع من أن تثور غات ضد ذلك الحكم كما حدث في ثورة غات ضد الوجود العثماني في المدينة عام 1886م.

كما استعملت فرنسا كثيراً من الوسائل للهيمنة على الصحراء الكبرى، والسيطرة على الصحراء الليبية ومركزاها التجارية، وكانت إحدى تلك الوسائل الجاسوسية، وكلفت هذه الكثير من الضحايا من جميع الأطراف .

ومن أبرز النتائج التي تمخضت عنها هذه الدراسة ما يأتي :

- رغم انضواء مدينة غات تحت الحكم العثماني إلا أن جزءاً كبير من سكانها كانوا يرفضون هذا الحكم، وقد لاحظنا أنهم كانوا على أهبة الاستعداد للانقضاض على هذا الحكم، وفي انتظر من يشعل الشرارة الأولى للثورة.
- كانت ثورة غات 1886م ضد الوجود العثماني نتيجة لإعلان الجهاد، ولتطبيق تعاليم الدين الإسلامي، وهذا ما نادى به الشريف حميد ومحمد الكيلاني على الرغم من أنهم ليسوا من سكان غات ولا فزان.
- تحرك فرنسا الاستعماري في الصحراء الليبية والمحاولات من أجل مد نفوذها والسيطرة على مركزاها التجارية كانت غالبًا ما تنتهي بالفشل.
- كذلك لم تنجح السلطات الفرنسية في تحويل تجارة غات وغدامس الى تونس .

وبناء على النتائج التي توصلت إليها أوصى بإعادة دراسة تاريخ مدينة غات، وكذلك سكانها لا سميا الطوارق؛ حيث إن تاريخ مدينة غات بل والمنطقة كلها

تعرض للتشويه من قبل المستعمرين، وهذه الدراسة تلفت أنظار المهتمين بالدراسات التاريخية للقيام بدورهم في الأبحاث التي تتعلق بالصحراء الكبرى، وكشف الحقائق للرد على الكتابات الأجنبية التي تحاول تهميش تاريخ هذا المنطقة و سكانها.

الهوامش

(1) أحمد الياس حسين، سلع التجارة الصحراوية، الصحراء الكبرى، ترجمة عماد الدين غانم، طرابلس ، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، ص204.

(2) محمد عثمان الحشائشي، جلاء الكرب عن طرابلس الغرب ، تقديم وتحقيق على مصطفي المصراتي ، بيروت، دار لبنان 1965، ص 140 ؛ الأمين محمد الماعزى ، سكان فزان دراسة وصفية قديماً وحديثاً ، القاهرة ، مطبعة الفنية الحديثة، 2003م ص ؛ أبو بكر عثمان القاضي، فزان ومراكزها الحضارية عبر العصور ، مركز دراسات وأبحاث الصحراء ، سبها ، 1984، ص 48 ؛ محمد سعيد القشاط المرجع السابق، ص 39-40.

(3) بول مارتي (Bool Martey) ، دور العرب الليبيين في مقاومة الغزو الفرنسي في بلدن الحزم جنوب الصحراء بالقارة الإفريقية ، ترجمة محمد عبد السلام العلاقية، جمعية الدعوة الإسلامية ، طرابلس، التاريخ ص 8.

(4) إبراهيم مياسي :توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري 1912- 1881منشورات المتحف الوطني للمجاهد، 1996م، ص19.

(5) السنوسية: طريقة صوفية أسسها محمد بن على السنوسي الذي ولد بمدينة مستغانم بالجزائر سنة 1792م، وتلقى علومه الأولية فيها، ثم ارتحل إلى فأس عام 1813م لاستكمال علومه، ثم ارتحل إلى مكة عام 1829م؛ حيث أسس زاوية هناك، ثم وصل إلى الجبل الأخضر بإقليم برقة؛ حيث أسس الزاوية البيضاء سنة 1843م، ولكنه انتقل إلى الجغبوب؛ حيث أسس زاوية هناك، وفي عام 1859 م توفي وخلفه ابنه المهدي الذي انتقل إلى الكفرة سنة 1895م، ومنها انتشرت الزوايا في الصحراء الكبرى ، محمد بن عثمان الحشائشي، الرحلة الصحراوية عبر أرض طرابلس وبلاد الطوارق، تحقيق محمد المرزوقي، تونس: الدار التونسية للنشر 1984م، ص140 ، ص 144-145.

(6) علي عبد اللطيف حميدة، المجتمع والدولة والاستعمار في ليبيا، دراسة في الأصول الاجتماعية والاقتصادية والثقافية لحركات وسياسات التواطؤ ومقاومة الاستعمار 1830- 1932م،(لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية ، 1995)، ص155.

(7) على اغنابزية ، مواقف أعيان الأغواط من الحركة من سلطة الأمير عبد القادر والاحتلال الفرنسي ،مجلة السراج في التربية وقضايا المجتمع، العدد الخامس ، 2018م.

(8) هو محمد بن عبد الله من أولاد سيدي أحمد بن يوسف فرع قبيلة أهل غسول قرب عين تموشنت، وفي عام 1840 استقر في مدينة تلمسان بعد احتلال تلمسان في أواخر شهر ديسمبر 1841 حمل لواء المقاومة ضد الفرنسيين لمدة تقارب 30 عاما. كان في بداية نشاطه يتستر بثياب التعبد حتى لا يثير شكوك الفرنسيين حوله وعندما اكتشف أمره عام 1844 م غادر تلمسان إلى إسكندرية، ومن هناك اتجه إلى مكة لأداء فريضة الحج، واتصل بعدد من الجزائريين المنفيين، وكان من بينهم " محمد بن علي السنوسي الذي طرد من الجزائر عام 1849م ، على اغنابزية ، مواقف أعيان الأغواط من الحركة من سلطة الامير عبدالقادر والاحتلال الفرنسي ،مجلة السراج في التربية وقضايا المجتمع، العدد الخامس ، 2018م.

(9) غوتلوب أدولف كراوز الدواخل في مجموعة دراسات الرحالة الألماني غوتلوب أدولف كراوزه، ترجمة :عماد الدين غانم ، طرابلس، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية،1998م،ص20 .

(10) الطاهر موساوي، الاستكشافات الأوروبية للصحراء الجزائرية خلال القرن 19 ، مذكرة ماجستير إشراف عبد المجيد بن نعمية، جامعة بشار، قسم العلوم الاجتماعية والإنسانية فرع تاريخ ،2012 – 2011 .

(11) يحي بوعزيز :ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين ،دار البصائر ،الجزائر، 2011،ص .323

(12) دار المحفوظات التاريخية طرابلس ، ملف الحدود الغربية، مشروع اتفاقية فرنسية بتوقيع المارشال دومالكوف والي إقليم الجزائر مع الطوارق سنة 1862م ؛ يحي بوعزيزة ، طرق القوافل والأسواق التجارية بالصحراء الكبرى كما وجدها الأوربيون خلال القرن التاسع، البضائع والعملات والأسعار وأساليب التجارية ، بغداد، معهد البحوث والدراسات العربية، 1984م، ص 142 وما يليها.

(13) عبد الرحمن تشايجي، الصراع التركي الفرنسي في الصحراء الكبرى، ترجمة على اعزازى، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، 1993م،ص 76.

(14) التشايجي المرجع السابق ، ص 90.

(15) إبراهيم مياسي :توسع الاستعمار الفرنسي ،المرجع السابق ، ص85.

(16) محمد بن محمذن: "الرحلات الاستكشافية الفرنسية في الصحراء الكبرى الدوافع والعراقيل "،مجلة العلوم الإنسانية ،جامعة نواكشوط موريتانيا، ع 20،ديسمبر 2003،ص

(17) نقلاً عماد الدين غانم، الدواخل الليبية في مجموعة دراسات للرحالة الألماني غوتلوب آدولف كراوزه ، ص 18

(18) تشايجي، المرجع السابق، ص 98- 99.

(19) Julius ,Lippert `` Zur Eroberuurg der Stadt Ghat durch ,die Tuerken Teilurgen des Seminars fue rorientalische sprachen 1904-p88.sq

(20) عبد القادر جامي، من طرابلس الغرب إلى الصحراء الكبرى، ترجمة مصطفى الأسطى، طرابلس، دار المصراتي للطباعة والنشر، 1974م ،. ص 73.

(21) وانظر كذلك نجمي رجب ضياف، المرجع السابق ، ص 143.

(22) ن.أ.بوشن ، تاريخ ليبيا في العصر الحديث ، ترجمة عماد حاتم ، مركز جهاد الليبيين ، طرابلس ، ليبيا ، 2005، ص 187

(23) كان منذ الصغر مشغوفًا بالترحال والتجول لذلك سافر دون دعم إلى السنغال عام 1824م وكان أول فرنسي يتوغل إلى أعماق الصحراء؛ وبذلك قدم لفرنسا معلومات جغرافية مهمة ساعدتهم فيما بعد أثناء علميات التوسع في الصحراء والسودان . للمزيد انظر Lhot (H) ,Le Hoggar ,eSPace et temps ,Armand –colin, paris , paris,1984.p.191

(24) شار فيرو، الحوليات الليبية ، تحقيق محمد عبدالكريم الوافي ، طرابلس : المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان ، 1983م ، ط2، ص 712.

(25) هنري دوفيرية : " هو الرحالة الفرنسي هنري دوفيريه الذي ولد في باريس في 28 فبراير 1840 م، مات منتحرا في 25 إبريل سنة 1892 ، كان مهتما بالاكتشافات الجغرافية وتعلم اللغة العربية واللهجة البربرية قام برحلة إلى غدامس وغات عن طريق طرابلس أقام علاقات بالطرق الصوفية، كتب مذكرات عن الطوارق وجوانب كثيرة من حياتهم. جيرالد رولفس، رحلة عبر أفريقيا، ترجمة :عماد الدين غانم، سبها، مركز الدراسات الأفريقية، 1988 م، ص211

(26) Henri Duveyrier, Ies Touareg du Nord Editeur Challamel Aine, Paris 1864, P.243

(27) Henri Duveyrier ,OP,Cit,p.302 ,

(28) جون رايت، انبثاق ليبيا، ترجمة الزبير الطيب ،دار الفرجاني ، طرابلس ،ليبيا ،2013، ص 17.

(29) Dominique Casajus, Henri Duveyrier Un saint-simonien au desert Ibis Press Paris, 2007,p.75.

(30) P. Vuillot, l'exploration du Sahara, Editeur Augustin Challamel, Paris, 1895, p 178

(31) إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 103

(32) تماسينين: قرية تقع شمال الأزقر(Azjer(على بعد 580كم جنوب شرق ورقلة.ينظر :

Conard Kilian, Au Hoggar Mission de 1922, société d'Editions Géographique, Maritimes eColoniales Ancienne, Maison Challamel, Paris, 1925, p54

(33) هاشمي آمال، التوسع الفرنسي نحو منطقة الهقار، مجلة عصور، مخبر البحث التاريخي، جامعة وهران، ع 19-18:، 2012م،

(34) تشايجي ، المرجع السابق ، ص

(35) يذكر بشير قاسم يوشع أن رجلين مجهولين يحلان منطقة فزان أحدهم يدعى الشريف حميد والثاني يدعى الشريف محمد الكيلاني أو الجيلاني لا يعلم أحد أين قدمًا ولا كيف وصلا إلى قرية الدويسة وتاروت في قضاء الشاطئ ولم يلبثا أن ناديًا بالثورة والجهاد لتطبيق تعاليم الدين ومقاومة الفساد ، وطرد الاتراك ، بشير قاسم يوشع ،غات ملامح وصور ، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية ، طرابلس ، ليبيا ، 2011م، ص 101.

(36) دار المحفوظات التاريخية طرابلس، ملف الشؤون الداخلية، رسالة من جماعة تجار طرابلس والمجابرة والسواكنة إلى قائم مقام فزان يذكرون فيها قصة الشريف المحرض على الثورة ووقوفهم معه بتاريخ 1303هـ (1887).

(37) بشير قاسم يوشع ، غات ملامح وصور ، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية ، طرابلس ، ليبيا ، 2011م ،ص69

(38) بشير قاسم يوشع، المرجع السابق ،ص

(39) كراوزه، المصدر السابق، ص 82، وما يليها؛ بشير قاسم يوشع، المرجع السابق ص 306- 307.

(40) يحيى بوعزيزة، طرق القوافل والأسواق التجارية بالصحراء الكبرى كما وجدها الأوربيون خلال القرن التاسع عشر، بغداد، معهد البحوث والدراسات العربية، 1984م، ص 142 وما يليها.

(41) تشايجي، المرجع السابق، ص 67.

(42) شار فيرو، المصدر السابق ، ص 239

(43) تشايجي، المرجع السابق، ص90.

(44) المرجع اسابق، ص 91.

(45) Henri (B)Flatters : Les Deux missions au pays des Touaregs Azjert et Hoggar , librairie Furme , paris 1955,p222

(46) يحيى بو عزيز، المرجع السابق، ص 29- 30.

المصادروالرجع:

أولًا – الوثائق الغير منشورة:

[1]- دار المحفوظات التاريخية طرابلس، ملف الشؤون الداخلية، رسالة من جماعة تجار طرابلس والمجابرة والسواكنة إلى قائم مقام فزان يذكرون فيها قصة الشريف المحرض على الثورة ووقوفهم معه بتاريخ 1303هـ (1887).

[2]- دار المحفوظات التاريخية طرابلس ، ملف الحدود الغربية، مشروع اتفاقية فرنسية بتوقيع المارشال دومالكوف والي إقليم الجزائر مع الطوارق سنة 1862م .

ثانيًا: لمصادر العربية :

[1]- محمد بن عثمان الحشائشي، الرحلة الصحراوية عبر أرض طرابلس وبلاد الطوارق، تحقيق محمد المرزوقي، تونس: الدار التونسية للنشر 1984م.

[2]- محمد عثمان الحشائشي، جلاء الكرب عن طرابلس الغرب، تقديم وتحقيق علي مصطفى المصراتي، بيروت 1965 م.

[3]- بوعزيز ،يحي ، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999 .

ثالثًا- المصادر الاجنبية المترجمة:

[4]- جميس هاملتون جولات في شمال افريقيا، ترجمة المبروك محمد الصويعي ، طرابلس ،ليبيا، دار الفرجاني للنشر و التوزيع.

[5]- جوستاف ناختيجال، الصحراء وبلاد السودا، ترجمة :عبد القادر المحيشي، طرابلس، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 2007م.

[6]- جيرالد رولفس، رحلة إلى الكفرة، دراسة ومراجعة عماد الدين غانم، طرابلس، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 2000 .

[7]- جيرالد رولفس، رحلة من طرابلس إلى الإسكندرية، ترجمة عماد الدين غانم، طرابلس، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية،2002م .

[8]- غوتلوب أدولف كراوز، الدواخل في مجموعة دراسات الرحالة الألماني غوتلوب أدولف كراوزه، ترجمة :عماد الدين غانم، طرابلس، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية،1998م.

رابعًا- المراجع العربية:

[3]- Dominique Casajus, Henri Duveyrier Un saint-simonien au desert Ibis Press Paris, 2007.
[4]- Dominiqu casajus ,Le voyageur et le vieux chef,studi Magrebini
[5]- Gerhard Rohlfs, Kufra: Journey From Tripoli to Kufra, from Leipzig,1881. .
[6]- Gostav nachtigal, Ergebnisse sechs jahriger reisen in afrika erster theil, berlin ,1879.
[7]- John Wright , Anarrative of Travels in Nortern Frica in The John Wright , Anarrative of Travels in Nortern Frica in The Years (1818-1820) Siphium Press , 2005.

سادسًا- المراجع الأجنبية المترجمة:

[1]- جون رايت، انبثاق ليبيا، ترجمة الزبير الطيب ،دار الفرجاني ، طرابلس ،ليبيا ،2013.

[2]- جيمس ويللارد، الصحراء الكبرى، طرابلس، ليبيا، مكتبة الفرجاني، 1967م.

[3]- شارل فيرو، الحوليات الليبية، تحقيق محمد عبد الكريم الوافي، طرابلس :المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان،1983 .

[4]- فرانشيسكو روفيري، عرض للوقائع التاريخية البرقاوية، 2003 م.

[5]- هنريكو دي اغسطيني، سكان ليبيا ، ترجمة خليفة التليسي، 1917 م.

[6]- م نقولا زيادة، إفريقيات لندن، رياض الريس للكتب والنشر، 1991 .

سابعاً- المجلات العلمية :

[1]-ميلاد امحمد الزليتني، موقف السكان الليبيين من نشاط الرحالة العرب والأوروبيين في الفترة ما بين 1798-1923 م، مجلة البحوث والأكاديمية العدد الثالث عشر يناير 2019.

[2]-محمد بن محمذن: "الرحلات الاستكشافية الفرنسية في الصحراء الكبرى الدوافع والعراقيل "،مجلة العلوم الإنسانية ،جامعة نواكشوط موريتانيا، ع 20،ديسمبر 2003.

[3]-عماد الدين غانم، الرحالة الألماني رولفس و ليبيا مجلة البحوث التاريخية، مج ،1 ،ع1 مركز البحوث والدراسات التاريخية ، طرابلس.

[4]-عبد القادر بوباية، دور الرحالة والمستكشفين في حركة التوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية، مجلة عصور، جامعة وهران، الجزائر السنة الثالثة العدد 4 و 5 ، ديسمبر 2003 ، جوان 2004 .

[9]- أحمد اليأس حسين، سلع التجارة الصحراوية، الصحراء الكبرى، ترجمة عماد الدين غانم، طرابلس ، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية.

[10]- الطاهر موساوي، الاستكشافات الأوروبية للصحراء الجزائرية خلال القرن19م.

[11]- الدواخل الليبية في مجموعة دراسات الرحالة الألماني غوتلوب أدولف كراوزه، ترجمة :عماد الدين غانم، طرابلس منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية 1998م عماد الدين غانم، وثائق ومخطوطات في أعمال رولفس وكروازه، ضمن أعمال المؤتمر الأول للوثائق والمخطوطات في ليبيا واقعها وآفاق العمل حولها، الجزء الثاني، زليتن. 1988 .

[12]- بشير قاسم يوشع ، غات ملامح وصور ، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية ، طرابلس ، ليبيا ، 2011م .

[13]- عماد الدين غانم، الدواخل الليبية في مجموعة دراسات للرحالة الألماني غوتلوب أدولف كراوزة، طرابلس، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1998م.

[14]- زاهر رياض، استعمار إفريقيا، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1965م.

[15]- عماد الدين غانم، غدامس في رحلة رولفس الأولى إلى ليبيا في أواخر سنة 1864 م.

[16]- عماد الدين غانم، وثائق ومخطوطات في أعمال آدولف كروزاه، ضمن أعمال المؤتمر الأول للوثائق والمخطوطات في ليبيا وآفاق العمل حولها، الجزء الثاني، زليتن، 1988 م،

[17]- محمد سعيد القشاط، جهاد الليبيين ضد فرنسا في الصحراء الكبرى، دار الملتقى للطباعة والنشر،1998 م.

[18]- مصطفى عبدالله بعيد، المختار في مراجعة تاريخ ليبيا الجزء الثاني ، بنغازي : دار ليبيا للنشر والتوزيع ، 1976 م.

[19]- هاشمي آمال، التوسع الفرنسي نحو منطقة الهقار مجلة عصور، مخبر البحث التاريخي، جامعة وهران، ع 19-18:، 2012،

-[20]

خامسًا- المراجع الأجنبية:

[1]- Andrew Goudie, wheels Acaross The Desert Exploration of The Libyan Desert by motor car (1916 -1924) Silphium press, p.
[2]- Henr DUVEYRIERi Henri: Exploration du Sahara Les Touaregs du Nord , Paris,1864.